الفصل السادس

الاختلاف الصوتي

ويحتوي على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الاختلاف بالإبدال أو القلب أو الإدغام .

المبحث الثاني : الاختلاف بالإمالة .

المبحث الثالث : الاختلاف بالتقديم والتأخير .

الأصوات اللغوية ورموزها

الحروف والحركات رموز للأصوات ، والصوت اللغوي جزء من الكلمة ، والكلمة رمز للمعنى ، وبانتقال الكلمة من المتكلم إلى السامع أو القارئ ، ينتقل المعنى من إنسان لآخر ، ولكل صوت لغوي عربي رمز كتابي يدل عليه ، سواء كان من الصوامت Consonants أو من المصوتات : Vowels .

والصوت اللغوي جزء من الكلمة ، ويطلق عليه علماء اللسانيات الغربيون : Fonieme وقد تناول علماء اللسانيات بالدرس الأصوات مخارجها وصفاتها .

ودراسة الأصوات اللغوية العربية ، بدأت منذ قديم ، ولما اتسعت الدراسات القرآنية ، صار « علم التجويد » علمًا مستقلاً ، له مصادره الخاصة ، وكان الباعث عليه المحافظة على كيفية أداء القرآن الكريم أداءً صوتيًا مطابقًا للكيفية التي بها تلقاه النبي ﷺ من جبريل عليه السلام . وبالكيفية نفسها تلقاه الصحابة رضي الله عنهم ، ثم الأجيال التي تلتهم إلى يومنا هذا .

وبين القراءات اختلاف في الأصوات الصامتة والمصوتة ، والاختلاف يكون أحيانًا بين القراءات المتواترة نفسها ، وأحيانًا بينها وبين القراءات الشاذة .

وفي هذا الفصل اثنا عشر اسمًا اختلفت حولها القراءات الشاذة مع القراءات المتواترة ، حول صوت واحد من كل كلمة . ودار الاختلاف بينها على ثلاثة أوجه . ونظرًا لانحصار الاختلاف الصوتي في هذه الأوجه الثلاثة فقد جعلت هذا الفصل ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الاختلاف بالإبدال أو القلب أو الإدغام :

وتناول الأسماء السبعة الآتية :

١- امرأتان ٢- الصابئين ٣- الصراط ٤- قروء ٥- المتطهرين ٦- هداي ٧- وسطا .

المبحث الثاني : الاختلاف بين الفتح والإمالة :

وتناول الأسماء الأربعة الآتية :

١- الضمير في (إنَّا) ٢- الربا ٣- لباس ٤- الضمير في منها .

المبحث الثالث : الاختلاف بتقديم الصوت وتأخيره :

وتناول اسمًا واحدًا «الصواعق».

وتشترك هذه الشواذ على اختلاف وجوه شذوذها ـ في فقدان السند المتواتر في التلقي ، مما جعل علماء القراءات يحكمون بشذوذها .

أما المعاني ، فلا اختلاف حولها بين متواتر القراءات وشاذها في هذه الأسماء الاثنى عشر ، لأن الاختلاف فيها صوت واحد من أصوات الاسم على النحو الآتي تفصيله في المباحث الثلاثة .

المبحث الأول

الاختلاف بالإبدال ، أو القلب ، أو الإدغام وذلك في الأسماء السبعة الآتية :

١ - امرأتان :

في قوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ ﴾ (البقرة:٢٨٢) .

قرأها الجمهور بفتح الهمزة . وروى مت بن عبد الرحمن أن أهل مكة كانوا يقرأونها : « **وامرأْتان** » بسكون الهمزة على غير قياس[١]. والذي دعاهم إلى تسكين الهمزة ، الفرار من توالي ثلاث حركات والهمزة الساكنة أخف من المتحركة[٢]. ومثل هذا صنعه أبو عمرو في ﴿ بَارِئِكُمْ ﴾ (البقرة:٥٤) فراراً من حركة همزة بين حركتين . فقد روى السوسي عنه الإسكان . وروى الدوري عنه : الإسكان . والاختلاس (الإتيان بثلثي الحركة) وهي الرواية المختارة . والإسكان لهجة بني تميم وأسد وبعض أهل نجد ، طلبًا للتخفيف عند توالي ثلاث حركات[٣].

ويحتمل أن أهل مكة كانوا يقرأون : « وامراتان » بألف خالصة ، بدلاً من الهمزة طلبًا للتخفيف ، كما يرى ابن جني[٤]. وإبدال الهمزة ألفًا للتخفيف جائز في اللسان العربي . ومن شواهده قول الشاعر[٥] :

يقولون جهلاً : ليس للشيخ عَيِّـل لعمري ، لقد أعيلتُ وان رقوبُ[*]

---

(١) البحر المحيط ٣٤٦/٢ .

(٢) الحجة ص ٦٤ .

(٣) غيث النفع ص ١١٤ ، إتحاف فضلاء البشر ص ١٣٦ .

(٤) المحتسب ١٤٧/١ .

(٥) موضع الشاهد « وانَ » الأصل : وأنا « أبدلت الهمزة ألفًا وحذفت الألف الأخيرة لأنها تحذف في حالة الوصل .. أعيلت : صرت ذا عيال .

(*) الرقوب : له عدة معان . والمراد هنا : العاجز عن الكسب . العيل : واحد العيال ، وعيال الرجل من يعولهم : (الصحاح ، المعجم الوسيط : عيل) .

ومعنى هذا الجزء من آية الدين : فإن لم يكن الشاهدان رجلين ، فليشهد رجل وامرأتان .

وظاهر هذا النص يقتضي جواز شهادة امرأتين مع رجل في سائر عقود المداينات[1] وفي شهادة المرأة فيما عدا ذلك خلاف بين الفقهاء ، ذكر في كتب الفقه بتوسع .

٢ - الصَّابِئِينَ :

في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ . . وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ (البقرة:٦٢) .

قرأ الجمهور « **الصابئين** » هنا وفي سورة (الحج:١٧) مهموزًا ، وقرأ نافع « **الصابين** » بغير همزة . ويمكن أن تخرج قراءته هذه على وجهين :

أحدهما : أن هذا الوصف من « صبا » بمعنى « مال » ومنه قول الشاعر :

إلى هند صبا قلبي وهند مثلها يصبي

والوجه الآخر : أنه من « صبأ » مهموز اللام ، ولكن الهمزة قلبت ياء في المفرد فقيل : « صابي » ولما جمع قيل : الصابين بحذف الياء المنقلبة حتى لا تجتمع ياءان[2] .

وقرأ الأعرج في الشواذ : « **الصابيين** » بقلب الهمزة ياء[3] . ومما لحظه علماء الصرف أن الهمزة والياء تتبادلان الموقع في بعض الكلمات بأن تحل كل واحدة منهما محل الأخرى . ومن المواقع التي تحل فيها الياء محل الهمزة ، أن تكون الهمزة مفتوحة بعد كسر ، نحو « فئة » و« خطية » بإبدال الهمزة فيهما ياء وإدغامها في الياء الزائدة في « خطيئة » ومن أمثلتها في الأفعال ، في نحو « أريد أن أقرئك » يجوز أن تقول : أريد أن أقريك بالياء[4] .

---

(١) روح المعاني ٥٨/٣ ، فتح القدير ٣٠١/١ ، البحر المحيط ٣٤٦/٢ .

(٢) البحر المحيط ٢٤١/١، وإتحاف فضلاء البشر ص ١٣٨، والحجة لابن خالويه ص ٨١ .

(٣) مختصر في شواذ القرآن ص ٦ .

(٤) الممتع ٣٦٨/١، والبحر المحيط ٢٦٧/٢، وفي صوتيات العربية ص ١١٦ .

وكما يجوز أن تبدل الياء من الهمزة ، كما في الأمثلة السابقة ، يجوز أن تبدل الهمزة من الياء في بعض المواقع . ومنها أن تكون الياء بعد ألف زائدة نحو « بايع » إذ يجوز فيه : « بائع ».

وكثيراً ما تطرح الهمزة المحركة في النطق طلبًا للخفة ، ففي رواية ورش عن نافع ـ مثلاً : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (المؤمنون:١) بنقل حركة الهمزة إلى الدال الساكن قبلها[١] .

ومن الجدير بالذكر هنا ، أن أشير إلى أن الكلمات التي بها همزة نحو « الصابئين » كانت في الرسم العثماني أول أمره بدون همزة ، لأن صوت الهمزة ـ على الرغم من أنه صوت لغوي Fonieme في اللغة العربية فقد ظل رَدَحا من الزمن دون أن يكون له رمزه الكتابي الخاص به بين الحروف العربية . حتى ابتكره الخليل ابن أحمد رحمه الله ، على هذا الشكل المعروف ، وذلك في القرن الثاني الهجري[٢].

وليست اللغة العربية وحدها في هذا الشأن ، فالهمزة في اللغة الدنماركية المعاصرة ، صوت ذو وظيفة دلالية ، كما هو الحال في اللغات السامية ، واللغة العربية بصفة خاصة ، ومع هذا لا يوجد حتى الآن رمز خاص به بين حروف اللغة الدنماركية[٣].

ومن معاني « صبأ » في اللغة خرج من دين إلى دين[٤]. والصابئون المذكورون في الآية ، قيل عنهم : فرقة كانت قد خرجت من اليهودية والنصرانية وصارت تعبد الملائكة[٥] وقيل كانوا على ديانة « نوح » عليه السلام . وقيل عنهم غير ذلك[٦].

---

(١) الحجة لابن خالويه ص ٦٤ .

(٢) عاش الخليل بن أحمد بين سنتي (١٠٠ - ١٧٠هـ) .

(٣) الأصوات اللغوية ص ٥٩ .

(٤) الصحاح « صبأ » .

(٥) الشوكاني : فتح القدير ٩٤/١ ، الشهرستاني : الملل والنحل ٩٦/٢ .

(٦) البحر المحيط ٢٣٩/١ .

٣- الصراط :

في قوله تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ (الفاتحة:٦،٧) في الكلمة أربع لهجات :

اللهجة الأولى : «**السراط**» بسين خالصة ، و«**الصراط**» بصاد خالصة ، و«**الزراط**» بزاي خالصة . والرابعة : بصوت بين الصاد والزاي .

والأصل في الكلمة «السراط» بالسين الصريحة ، وهي لهجة عامة العرب والأصوات الثلاثة الأخرى بدل من السين ، وقرأ «السراط» قنبل ورويس[١] في جميع القرآن[٢] ووافقهم ابن محيصن في «الصراط» و«صراط» والشنبوذي فيما تجرد عن اللام[٣].

و«السراط» الجادة من : سرط الشيء إذا ابتلعه لأن الطريق يسترط ـ السابلة إذا سلكوه . كما سمي «لقما» لأنه يلتقمهم[٤].

فالقراء الذين اختاروا قراءة «السراط» بالسين ، آثروا أن يقرأوا بالأصل ، وإن كان رسم جميع المصاحف على مختلف القراءات والروايات قد استقر على الصاد[٥].

اللهجة الثانية : «**الصراط**» بالصاد الصريحة ، وهي لهجة قريش . وتعليل حدوث هذه اللهجة من وجهة نظر علم الأصوات ، أن قريشًا جعلت السين صادًا لقرب مخرج الصاد من مخرج الطاء ، وليكون التجانس بين صوتين ، إذ أن كليهما صوت استعلاء ، و«السين» صوت منسفل ، فكرهوا الانتقال من صوت أسفل في أول الكلمة ، إلى صوت أعلى في آخرها[٦].

---

(١) إتحاف فضلاء البشر ص ١٢٣ ، تاج العروس (سرط) .
(٢) الكشاف ١/٥١ ، البحر المحيط ١/٢٥ .
(٣) الإتحاف السابق ص ١٢٣ .
(٤) الكشاف ١/٥٠ .
(٥) الحجة لابن خالويه ص ٦٢ ، البحر المحيط ١/٢٥ .
(٦) الممتع ١/٤١١ (أصوات الاستعلاء هي أصوات الإطباق الأربعة ، والخاء والغين المعجمتان والقاف وسميت بذلك لارتفاع اللسان نحو سقف الحنك عند كل واحد منها ، بأوضاع مختلفة . وغيرها أصوات الاستفال ، انظر شذا العرف ص١٧٦، في صوتيات العربية ص ٦٧).

وكتبت «الصراط» بالصاد في المصاحف التي وزعت على الأمصار في خلافة عثمان رضي الله عنه، وفي المصحف الذي اختص به نفسه.

وبالصاد قرأ بقية القراء ورواتهم، عدا قنبل ورويس كما سبق، وعدا خلف عن حمزة كما سيأتي في اللهجة الثالثة[1].

وجاءت لهجة «الصراط» بالصاد في الشعر، فمن ذلك قول عامر بن الطفيل:

شحنا أرضهم بالخيل حتى تركناهم أذل من الصراط

ونسب الطبري هذا البيت للهذلي أبي ذؤيب، وصيغته عنده[2].

صبحنا أرضهم بالخيل حتى تركناها أدق من الصراط

وقول جرير:

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد ـ مستقيم

وحكى النقاش وابن الجوزي أن «الصراط» الطريق بلغة الروم، وإلى هذا ذهب أبو حاتم في كتاب «الزينة» وقال ابن عطية: إنه ضعيف جدًّا «والحق ما قال». ولعل الذي حملهم على ذلك التقارب الصوتي بين كلمتي «السراط» العربية وStarta اللاتينية، ومعناها الطريق المبلط[3]. وهو مجرد تماثل في بعض أصوات الكلمتين، على أن العرب أطلقوا كلمة «السراط» على مجرد الطريق، واللاتين أطلقوا كلمتهم على طريق مخصوص[4].

اللهجة الثالثة: لهجة قيس. وفيها مزج صوت الصاد بصوت الزاي وبها قرأ خلف عن حمزة في جميع القرآن، ووافقه المطوعي، وروى عن خلاد الإشمام (المزج بين الصوتين) وعدمه في الفاتحة وغيرها[5].

---

(١) إتحاف فضلاء البشر ص ١٢٣، البحر المحيط ١/٢٥، الجامع لأحكام القرآن ١/١٤٧.

(٢) جامع البيان: ١/٥٧، الرواية الأولى في الجامع لأحكام القرآن ١/١٤٧.

(٣) المهذب لجلال الدين السيوطي ص ١٠٤ والهامش.

(٤) الحجة ص ٦٢، إتحاف فضلاء البشر ص ١٢٣، البحر المحيط ١/٢٥.

(٥) إتحاف فضلاء البشر ص ١٢٣.

والتعلي الصوتي لهذا الإبدال ، أن «الراء» صوت مجهور وهذا الصوت «ظ» المزيج بين الصاد والزاي مجهور كذلك .

وقد مال أصحاب هذه اللهجة إلى التجانس بين ثلاثة أصوات مجهورة في هذه الكلمة : وهي : الظاء المزيج(*) والراء بالألف(١) .

اللهجة الرابعة : «الزراط» و«زراط» بزاي خالصة ، وهي لهجة عذرة ، وكعب ، وبني القين(٢)، وكلب(٣)، والتعليل الصوتي لهذه اللهجة كالتعليل في السابقة ، وهو الرغبة في التجانس بين الأصوات ، فالزاي الخالصة والراء والألف ثلاثتها أصوات مجهورة .

وأصحاب هذه اللهجة يقولون : «أزدق» بدلاً من : «أصدق» والأزد بدلاً من «الأسد» ولزِق به بدلاً من «لصِق به»(٤) .

ورويت قراءة شاذة : «**اهدنا الزراط المستقيم**» بزاي خالصة صافية من غير إشمام ، ونقل مرتضى الزبيدي من «العباب» أن الذين قرأوا بها هم :

- حمزة بن حبيب ، في رواية الفراء عنه .
- وعاصم ، في رواية مجالد بن سعيد عنه(٥) .
- والكسائي ، في رواية ابن ذكوان عنه .

(*) ليس لهذا الصوت حرف عربي يدل عليه . ولو اصطلح المعاصرون على جعل الطاء ذات النقطتين حرفًا دالاً عليه لشاع بين الناس كما شاع حرفا «پ» و«چ» رمزين دالين على صوتين متميزين .

(١) الحجة ص٦٢ (الصوت المجهور عند المحدثين : ما يهتز عند حدوثه الوتران الصوتيان . والمهموس غيره . وتجمع الأصوات المهموسة عبارة «أحث شخص قطه فسكت؟ انظر : الأصوات اللغوية ص ٢١ ، ١١٣).

(٢) البحر المحيط ١/٢٥ .

(٣) تفسير القرطبي ١/١٤٧، تفسير ابن كثير ١/٢٦، ولسان العرب : ١/١٩٣، ٣٢٩ (صدق ، لصق) .

(٤) تفسير القرطبي ١/١٤٧ .

(٥) تاج العروس (زرط) ، شواذ القرآن ص ١٦ ، تفسير القرطبي ١/١٤٧ .

- وأبو عمرو ، في رواية الأصمعي عنه[1].

وروى القرطبي هذه القراءة دون أن يعزوها لأحد[2]. وأفصح هذه اللهجات الأربع «لهجة قريش» «الصراط» بالصاد الخالصة .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الزاي والسين والصاد من حروف الصفير ، تتناوب المواقع في بعض الكلمات نحو «لصق به» في لهجة تميم ، و«لسق به» في لهجة قيس ، و«لزق به» في لهجة ربيعة ، و«سعتر» و«زعتر»[3].

والمراد بـ«الصراط» في الآيتين - بمختلف قراءاته - طريق الحق وهو دين الإسلام[4].

٤- قروء :

في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ (البقرة:٢٢٨).

قرأ الجمهور «**ثلاثة قُروء**» بضم القاف والراء ، وهمزة في آخر الاسم[5].

وقرأ حمزة «**قُرُوٌّ**» بضم القاف والراء وتشديد الواو ، مع الروم[*] وذلك في حالة الوقف خاصة[6].

وفيها قراءة شاذة «**قَرْوٍ**» بفتح القاف وسكون الراء وجر الواو دون تشديد وقرأ بها الحسن البصري[7].

---

(١) تاج العروس (زرط) ، شواذ القرآن ص ١٦ ، تفسير القرطبي ١٤٧/١ .

(٢) تفسير القرطبي ١٤٧/١ .

(٣) انظر لسان العرب (لصق) ، وتاج العروس (سعتر) ، والصحاح في اللغة والعلوم ص٤٧٧، وفي صوتيات العربية ص ١٤٥ .

(٤) البحر المحيط ٢٥/١ ، الكشاف ١٥/١ .

(٥) البحر المحيط ١٨٦/٢ .

(*) الروم : الإشارة إلى الحركة بصوت خفي ، ولا يكون مع الفتحة خلافًا لسيبويه وموافقيه . (سراج القارئ) ص ١٢٥ ، شذا العرف ص ١٩١ .

(٦) إتحاف فضلاء البشر ص ١٥٧ ، مختصر في شواذ القرآن ص ١٤ .

(٧) فتح القدير ٢٣٤/١ ، البحر المحيط ١٨٦/٢ .

فالخلاف الصوتي هنا بين القراءتين المتواترتين من جهة والقراءة الشاذة من جهة أخرى ، خلاف صوتي حول الهمزة والواو ، فالهمزة منطوق بها في القراءة المتواترة الأولى « قروء» وغير منطوق بها في القراءة الشاذة « قرو » والواو مشددة في القراءة المتواترة الثانية ، غير مشددة في القراءة الشاذة والاختلاف بين القراءتين المتواترتين والقراءة الشاذة في الضبط واضح لا يحتاج إلى بيان . و« القروء» جمع « قَرء» بفتح القاف وضمه ، وله ثلاثة معان فمن العرب من يطلقه على الطهر ومنهم من يطلقه على الجمع . ومنهم من يطلقه على الوقت وهذا هو الأصل[1] ومن الأول قول الأعشى[2] :

أفي كل عام أنت جاشم غزوة تشد لأقصاها عزيم عزائكا
مورثة مالاً وفي الحي رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائكا[3]

ومن الثاني قول حميد[4] :

أراها غلامانا الخلا فتشذرت مراحًا ولم تقرأ جنينًا ولا دما

وقول عمرو بن كلثوم في معلقته :

ذراعي عيطل أدماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا

ومن الثالث قول بعضهم[5] :

إذا ما السماء لم تغم ثم أخلفت قروء الثريا أن يكون لها قطر

واختلف الفقهاء حول المراد بـ« قروء» في الآية : فذهب فريق من الصحابة وفقهاء التابعين وغيرهم إلى أن المراد بها الأطهار ، وذهب فريق آخر إلى أن المراد بها « الحيض» جمع حيضة .

---

(١) جامع البيان ٢٦٨/٢ ط أولى ـ بولاق .
(٢) تاج العروس واللسان (قرأ) الصاحبي ص ٦٥ .
(٣) رواية الطبري في « جامع البيان» ٢٦٨/٢ ، مورثة مالا وفي الذكر رفعة إلخ .
(٤) لسان العرب (قرأ) .
(٥)تاج العروس (قرأ) .

ولما كان لفظ القروء من المشترك الذي يطلق على عدة أشياء ، فالقرينة هي التي تحدد المراد من مدلولاته الثلاثة . فالمراد في حديث : « **دعي الصلاة أيام أقرائك** »[1] الحيض ، لأن المرأة تدع الصلاة في أثناء حيضها لا في أثناء طهرها .

والمراد في الآية - وعند الله العلم - الأطهار ، وحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يؤيد هذا ، لأنه كان قد طلق امرأته وهي حائض ، فأمره النبي ﷺ بمراجعتها حتى تطهر ثم إن شاء طلقها في طهر لم يمسها فيه[2].

والآية موضع التعليق : « والمطلقات يتربصن . . إلخ » ظاهريًا خبر والمراد به الأمر ، وهي « نص » في عِدد المدخول بهن من ذوات الحيض ، وألا يقدمن على زواج جديد حتى تنتهي عِددهن بانقضاء ثلاثة أقراء حيض أو أطهار على الخلاف المتقدم بين الفقهاء[3].

٥- المتطهرين :

في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة:٢٢٢).

قرأ الجمهور : « **المتَطَهِّرين** » بفتح التاء والطاء وتشديد الهاء مكسورة وقرئت في الشواذ بثلاث قراءات :

إحداها : « **المُطَّهِّرين** » بإدغام التاء في الطاء لاتحادهما في المخرج وتشديد الهاء مكسورة . وقرأ بها طلحة بن مصرف[4] والأصل « المتطهرين ».

الثانية : « **المَطهِّرين** » بفتح الطاء وتشديد الهاء مع الكسر من « طهر » الثلاثي المضعف .

الثالثة : « **المُطْهِرين** »[5] من « أطهر » الرباعي[6].

---

(١) فتح الباري ٣٥١/٩ .

(٢) أوجز المسالك إلى موطأ مالك ١٧٣/١٠، بذل المجهود في حل أبي داود ٢٤٦/١٠ .

(٣) فتح القدير ٢٣٦/١، البحر المحيط ١٨٥/٢ .

(٤) البحر المحيط ١٧٠/٢ .

(٥) الكرماني : شواذ القرآن ص ٣٩ .

(٦) تاج العروس (طهر) .

ولا فرق في المعنى بين القراءة المتواترة وشواذها الثلاث . وفي معنى «المتطهرين» هنا عدة أقوال لبعض الصحابة والتابعين[1] فمنهم من أرجع الأمر إلى الطهارة النفسية ، ومنهم من أرجعه إلى الطهارة الجسدية . فإذا تأولنا «المتطهرين» على الأول ، كان المعنى : المقلعين عن الذنوب كبيرها وصغيرها . وإذا تأولنا على الثاني ، كان المعنى : المزيلين النجاسة بالماء ، أو المبتعدين عن مواضع القذارة .

والتأويلان عندي مقبولان في هذا الموضوع ، فإن الله تعالى ، يحب هذين الصنفين من عبادة المؤمنين . ولكن ذكر «المتطهرين» بعد قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ يدل على أن المراد بالمتطهرين هنا المعنى الثاني . وهم أولئك الذين لا يباشرون نساءهم إلا في موضع الحرث ، وبعد انقطاع الحيض والاغتسال ، فقد كان من العرب من يباشر أهله في غير موضع الحرث وفي موضعه حال الحيض ، فنهى الله المسلمين عن الأمرين معًا ، وأخبرنا بأنه يحب عباده الذين يمتثلون نهيه وأمره فيما يتعلق بغشيان النساء .

٦- هُدَايَ :

من قوله تعالى : ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة:٣٨).

قرأ الجمهور «هُدَايَ» بألف وياء مفتوحة دون تشديد . وفيه قراءتان شاذتان .

إحداهما : إجراء للوصل مجرى الوقف ، ويلتقي فيها ساكنان : الألف والياء .

والأخرى : «هُدَيَّ» بقلب الألف ياء وإدغامها في ياء المتكلم وممن قرأ بها عبد الله بن أبي إسحق ، وعاصم الجحدري ، ومحمد بن وهب الثقفي[2] . وهي لهجة هذيل ، لأنهم كانوا يقلبون ألف الاسم المقصور ياء ويدغمونها في ياء المتكلم . قال شاعرهم[3] :

---

(١) الشوكاني : فتح القدير ١/٢٢٦ .

(٢) البحر المحيط ١/١٦٩ ، شواذ القرآن ص ٢٤ ، مختصر في شواذ القرآن ص ٥ .

(٣) البحر المحيط ١/١٦٩ .

سبقوا هَـوَىً وأعنقـوا لهواهمـو فَتُخُرِّموا ، ولكل جنـب مصـرع

والمراد بالهدي هنا ـ بمختلف قراءاته ـ وحي الله ، فإن من تبعه من الأنبياء والرسل والأمم التي يبعثون فيها ، لن يعتريه في الآخرة خوف ولا حزن .

وقد ذكر أبو حيان لسلف المفسرين اثني عشر قولاً حول الخوف والحزن المنفيين في الآية . وأوضحها قول بعضهم : « لا خوف عليهم فيما بين أيديهم من الآخرة ، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا »[1].

٧- وَسَطًا :

من قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا . . . ﴾ (البقرة:١٤٣).

تواترت قراءة « وسطا » بالسين المفتوحة وبه رسمت الكلمة في المصاحف قديمًا وحديثًا .

وقرئت في الشواذ : « **أمة وصطا** » بالصاد ونسبت للحسن البصري والزهري ، وقتادة[2].

والذي حدث في هذه اللهجة قبل أن تروى قراءة ، أن السين جعلت صادًا لما بين الصاد والطاء من تجانس في الإطباق[3]. والسين والصاد كلاهما صوت رخو مهموس[4]، ولهذا التجانس قد يحل أحدهما محل الآخر في بعض الكلمات[*].

---

(١) البحر المحيط ١/١٧٠ .

(٢) شواذ القرآن ص ٣٢ .

(٣) إملاء ما منّ به الرحمن ١/٧ .

(٤) الأصوات اللغوية ص ٧٦ .

(*) الإطباق : ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق بالحرف. وحروفه (ص ، ض ، ط ، ظ) وما سواها تسمى منفتحة . والرخاوة : امتداد الصوت بالحرف كما في السين والصاد ونحوهما . والأصوات المهموسة : في اصطلاح المعاصرين هي التي لا يهتز الوتران الصوتيان عند النطق بها وعددها ثلاثة عشر (١٣) وما عداها هي الأصوات المجهورة انظر : الأصوات اللغوية ص ٠ ، ٢١ ، ١١٣ ، في صوتيات العربية ص ٦٧ ، وصفحة ٢٣١ ، ٢٣٢ من هذه الرسالة .

ولما كان «الصاد» ليس أصلاً في هذه المادة ، ولكنه مبدل من السين لم تذكر المعجمات «وصط» بالصاد مادة مستقلة .

أما من حيث المعنى ، فلا خلاف بين القراءتين ، فالوسط بكلتا قراءتيه معناه : العدل أو الخيار ، ومعناهما واحد ، لأن العدل خير والخير عدل[1] ونص الآية يحتمل الأمرين معًا[2].

ومن الشواهد التي تحتمل المعنيين قول زهير[3] :

هو وسط ترضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

وقول الآخر :

أنتم أوسط حي علموا بصغير الأمر أو إحدى الكبر

وقد ثبت أن النبي ﷺ ، فسر «الوسط» هنا بالعدل فوجب المصير إليه[4].

وهذه الأمة ـ لعدالتها ـ تشهد على غيرها من الأمم ، بدليل قوله تعالى : ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ (البقرة:١٤٣).

وفي معنى «**وكذلك جعلناكم أمة وسطًا**» عدد من التأويلات ذكرها أبو حيان وغيره . منها : أنه شبه جعلهم أمة وسطًا ، بهدايته إياهم إلى الصراط المستقيم . والمعنى : أنعمنا عليكم بجعلكم أمة وسطًا ، مثل إنعامنا عليكم بالهداية إلى الصراط المستقيم[5].

وعلى هذا ، فيكون معنى «جعل» في هذه الآية «صير» والفعل «جعل» يأتي لمعان أخرى[6].

* * *

---

(١) تاج العروس (وسط) ، مجمع البيان ٢٢٤/١ .

(٢) فتح القدير ١٥٠/١ .

(٣) تاج العروس (وسط) .

(٤) شرح العيني على صحيح البخاري ٦٤/٢٥ ، عارضه الأحوذي بشرح سنن الترمذي ٨٣/١١ .

(٥) البحر الحيط ٤٢١/١ .

(٦) لسان العرب ، وتاج العروس (وسط) .

المبحث الثاني

الاختلاف بالإمالة

وهي في اللغة : العدول بالشيء إلى غير الجهة التي هو فيها[1] وفي اصطلاح القراءة : أن ينحو القارئ بالكسرة نحو الفتحة ، وبالألف نحو الياء . وهي قسمان كبرى وصغرى ، والفرق بينهما مقداري لأن الإمالة الكبرى متناهية في الانحراف نحو الياء ، والصغرى متوسطة بين الفتحة والكسرة .

ومن أسماء الإمالة : الكسر والبطح والإضجاع والتقليل والتلطيف وبين وبين . وهي في الأصل لهجة أهل نجد من تميم وقيس وأسد . والفتح لهجة أهل الحجاز[2]. وقد اعتبر اللغويون الفتح أصلاً والإمالة فرعًا عنه فأجازوا فتح كل ما سمع ممالاً ، ولم يجيزوا إمالة كل ما سمع مفتوحًا[3].

وبعض اللغويين لم يذكر في مادة (ميل) من صور الإمالة سوى إمالة ـ الألف نحو الياء . فقد عرف الزبيدي وابن منظور ـ مثلاً الإمالة : بأنها التي توجد بين الألف والياء. ولم يذكرا شيئًا عن إمالة الفتح نحو الكسرة أو إمالة الألف نحو الواو، على النحو الذي ذكره الكرماني في قراءتين شاذتين في «الربوا» كما سيأتي في الشاذتين الثالثة والرابعة .

وبالنظر إلى رواية الكرماني الآتية ، ينبغي أن تُعَرَّفَ الإمالة في اصطلاح علماء القراءات ، بحيث يشمل التعريف جميع صورها في القراءات المتواترة والشاذة . وذلك بأن يقال : الإمالة : أن ينحو القارئ بالفتحة نحو الكسرة ، وبالألف نحو الياء ، أو بالفتحة نحو الضمة وبالألف نحو الواو .

---

(١) شذا العرف ص ١٨٠ .

(٢) السيوطي : الإتقان ١/١٢٠ .

(٣) سراج القارئ ص ١٠٢ .

والغرض الأصلي من الإمالة التناسب ، وقد ترد للإشارة إلى أصل[1] ومحلها الأسماء المتمكنة والأفعال . وفي غيرهما يتوقف الأمر على السماع ، كما قال ابن مالك :

ولا تمل ما لم ينل تمكنا دون سماع غير «ها» وغير «نا»

والقبائل التي عرفت في لهجتها ظاهرة « إمالة الفتحة نحو الكسرة والألف نحو الياء» ، هي قبيلة « تميم» وما جاورها من سائر أهل نجد ، مثل « أسد وقيس» ولا يميل الحجازيون إلا في مواضع قليلة[2].

ولم يكن بين رموز الحركات العربية رمز يصور الإمالة ، وكان علماء الرسم القرآني يضعون نقطة حمراء تحت الحرف للدلالة على الإمالة .

ولما جاء عصر الطباعة ، وأرادت الحكومة المصرية سنة ١٣٣٧هـ أن تطبع المصحف وفق رواية حفص عن عاصم ، شكلت لجنة من بعض علماء اللغة والقراءات بمصر لإعداد نسخة وفق رواية حفص ، تمهيداً لطباعتها .

وقد وضعت اللجنة بعض الاصطلاحات لضبط رواية حفص . وكان من ضمن الرموز التي وضعتها الشكل المعين الخالي الوسط هكذا (◇) وقد جعلته رمزاً للإشمام في ﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا ﴾ (يوسف:١١) ورمزاً لإمالة الفتحة نحو الكسرة وإمالة الألف نحو الياء في ﴿ مَجْرِيهَا ﴾ (هود:٤١) .

وفي سنة (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) طبعت وزارة الشئون الدينية والأوقاف بجمهورية السودان الديمقراطية مصحفًا وفق رواية أبي عمر الدوري لقراءة أبي عمرو بن العلاء .

ومن بين الرموز التي اقترحتها اللجنة المشكلة لهذا الغرض ، الشكل المعين الخالي الوسط فقد جعلته رمزاً للإمالة الكبرى . وجعلت المثلث الخالي الوسط رمزاً للإمالة الصغرى .

---

(١) حاشية الصبان على الأشموني ٤/٢٢٠ .

(٢) شذا العرف ص ١٨٠ ، حاشية الصبان ٤/٢٢٠ .

وكلا الرمزين ـ الشكل المعين والمثلث ـ بعيد في شكله من صور الحركات العربية الأساسية . والفتحة المقعرة هكذا (◦) أشبه بالحركات العربية ، فهي فتحة إلا أنها مقعرة أخذًا من وضع الشفة السفلى عند النطق بالإمالة .

وهذا الرمز كان قد اقترحه للدلالة على الإمالة ، الدكتور خليل عساكر ، رحمه الله . ضمن رموز أخرى لكتابة اللهجات العربية المعاصرة . وأقر المجمع اللغوي بالقاهرة تلك الرموز ، ومن بينها رمز لإمالة الفتحة نحو الكسرة ، ورمز لإمالة الفتحة نحو الضمة .

لذا فقد جعلت في هذا المبحث ، وفي غيره من مباحث هذه الرسالة كلما عرضت لي كلمة فيها إمالة ـ الفتحة المقعرة رمزًا لإمالة الفتحة نحو الكسرة ، وإمالة الألف نحو الياء . لأنها بسيطة شكلاً ، وقريبة صورة من أختيها الفتحة والكسرة الخالصتين ، ولأن هيئة علمية معترفًا بها قد أقرتها ، ولأن بعض علماء الدراسات اللغوية المعاصرين قد سبقوا واستخدموها في دراساتهم التي قاموا بها . ومنهم الدكتور (عبد المجيد عابدين) رحمه الله في كتابه «من أصول اللهجات العربية في السودان» .

كما جعلت الضمة المعكوسة المتجهة إلى اليمين هكذا (◦) رمزًا دالاً على إمالة الفتحة نحو الضمة وإمالة الألف نحو الواو لنفس الأسباب الآنفة الذكر[1].

والكلمات التي شذت فيها إمالة الألف ، في نطاق البحث ، أربع ، وهي :

١- إنا ٢- الربا ٣- لباس ٤- منها .

فقد أميلت الألف في بعضها نحو الياء فقط ، وأميلت في بعضها الآخر نحو الياء تارة ، ونحو الواو تارة أخرى .

وفي الفقرات الأربع الآتية بسط الحديث عند كل كلمة .

---

(١) خاتمة مصحف الحكومة المصرية سنة ١٣٣٧هـ (وفق رواية حفص) . وخاتمة مصحف حكومة السودان سنة ١٩٧٨م (وفق رواية أبي عمر الدوري) . ومجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة عدد (٨) . ومن أصول اللهجات العربية في السودان ١٩٦٦م .

١- إنَّا :

في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ (البقرة:١٥٦).

قرأ الجمهور : « إنَّا » بألف صريحة في الموضعين . وقرئت في الشواذ ، « إنَّا » بإمالة الألف نحو الياء في الموضعين . رواها نصير عن الكسائي[١] .

وسبب الإمالة هنا الميل إلى التناسب بين ألف الضمير في « إنا » وكسرة البناء في لام الجر من « لله » وفي الهمزة من « إليه » .

٢- الرِّبَوا :

في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا ﴾ (البقرة:٢٧٥) ، ﴿ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا ﴾ (البقرة:٢٧٨).

قرئت بقراءتين متواترتين :

إحداهما : « الرِّبا » بكسر الراء ، والألف غير الممالة ، ليس بعدها همزة ، وهي قراءة الجمهور[٢].

والأخرى : « الرِّبـا » بكسر الراء ، وإمالة الألف نحو الياء . وقرأ بها من العشرة حمزة والكسائي[٣].

وقرئت في شواذ القراءات بسبع قراءات ، وهي :

١- « الرِّبَوْا » بكسر الراء ، وفتح الباء ، وسكون الواو . نسبها أبو حيان لأبي السمال العدوي . وقيل : هي لهجة أهل الحيرة[٤].

٢- « الرِّبُوا » بكسر الراء وضم الباء . نسبها ابن خالويه ، وابن جني لأبي السمال أيضًا ، وأنكر أبو حيان ورودها قراءة قائلاً : « هي قراءة بعيدة ، لأنه لا يوجد

---

(١) مختصر في شواذ القرآن ص ١١ .

(٢) إتحاف فضلاء البشر ص ١٦٥ .

(٣) تفسير القرطبي ٣/٣٧٠ ، إتحاف فضلاء البشر ص ١٦٥ .

(٤) البحر المحيط ٢/٣٣٣ .

في لسان العرب اسم آخره واو وقبلها ضمة» وقال ابن جني : ما بعد الياء ليس واواً ولكنه ألف مفخمة[١].

٣- «**الرِّبْوا**» بكسر الراء ، وضم الباء ضمة ممالة نحو الفتحة[٢].

٤- «**الرَّبْوا**» بفتح الراء ، وإمالة الضمة نحو الفتحة كما في التي قبلها نسب الكرماني هاتين القراءتين للحسن البصري وكرداب[٣].

٥- «**الرُّبّـا**» بضم الراء ، وإمالة الألف نحو الياء . كتبها ناسخ مخطوطة الكرماني هكذا «الربى» ونسبها الكرماني لأبي السمال[٤].

٦- «**الرِّباء**» بكسر الراء ، والمد ، والهمزة . نسبها البناء للحسن البصري[٥].

٧- «**الرَّبـا**» بفتح الراء والألف الصريحة المقصورة . نسبها الكرماني لأبي البرهسم[٦].

والتمس المتقدمون علة لكتابة «الربوا» في المصاحف بالواو ، فقال أبو حيان هي لهجة أهل الحيرة ، ومنهم تعلم أهل الحجاز الخط ، فكتبوها كما رأوا معلميهم يكتبونها[٧] وإن كانت لهجتهم بخلاف الواو ، ولما نسخت المصاحف كتبت فيها بالصورة التي عرفها القرشيون . وروى القرطبي علة أخرى وعزاها إلى محمد بن يزيد قال : إنما كتبوا «الربا» في المصاحف بالواو ، ليفرقوا بينها وبين كلمة «الزنا» لأنهما متماثلتان في الرسم[٨] . ونقط الإعجام ابتكار متأخر[٩].

---

(١) المحتسب ١٤٢/١ ، تفسير القرطبي ٣٧٠/٣ ، البحر المحيط ٣٣٣/٢ .

(٢،٤،٣) شواذ القرآن ص ٤٤ .

(٥) إتحاف فضلاء البشر ص ١٦٥ .

(٦) شواذ القرآن ص ٤٤ .

(٧) البحر المحيط ٣٣٣/٢ .

(٨) تفسير القرطبي ٣٥٣/٣ .

(٩) المفصل : دكتور جواد علي ١٨٧/٨ «عثر بعض الباحثين على وثيقة من ورق البردي تاريخها ٢٢هـ وبها حروف منقطة . والجمهور أن واضع نقط الإعجام نصر بن عاصم في عهد الحجاج بن يوسف . وقال ابن النديم في الفهرست ص٤ : «وأما عامر فوضع الإعجام».

ولو كتبت كلمة «الربوا» بدون واو ، لأمكن القارئ الذي لم يتلق القرآن مشافهة أن يقرأ ما في الآية ﴿ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ ﴾ (البقرة:٢٧٨).

وقد وردت كلمة «الربوا» مقترنة بالألف واللام في سبعة مواضع من القرآن منها خمسة في سورة البقرة (٢٧٥ - ٢٧٨) والسادس في آل عمران (١٣٠) والسابع في سورة النساء (١٦١) وقد كتب «الربا» في جميع هذه المواضع بالواو والألف .

وقال الشوكاني : وكتبوا ألفًا بعد الواو في «الربوا» تشبيهًا لها بواو الجماعة[١].

و«الربا» في اللغة : مطلق الزيادة . ويطلق في علم الاقتصاد على المبلغ الذي يؤديه المقترض زيادة عما اقترض[٢].

ويطلق في اصطلاح الشريعة على نوعين ، ربا الفضل وربا النسيئة والآيتان المذكور فيهما الربا في صدر هذه الفقرة ، تشملهما معًا ، والوعيد في الآية الأولى يشمل كل من له صلة بعملية الربا ، من كاتب وشاهد إلخ كما رُويَ في الأحاديث النبوية الصحيحة[٣].

٣- لِباسٌ :

في قوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ (البقرة:١٨٧).

قرأها الجمهور : «لباس» بألف خالصة في الموضعين . وقرئت في الشواذ : «لِباس» بإمالة الألف . نسبها الكرماني للخبيري[٤] والمعنى مجازي ، لأن اللباس في الحقيقة ما يستر من الثياب . وقد وصف الله تعالى النساء في هذه الآية ، بأنهن لباس للرجال . كما وصف الرجال بأنهم لباس للنساء ، للالتصاق الذي يحدث بين الزوجين عند المباشرة ، كالملاصقة التي تحدث بين الثوب ولابسه .

---

(١) فتح القدير ٢٩٤/١ .

(٢) المعجم الوسيط (ربو) .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣٧٩/١٠ ، مسند ابن حنبل ٣٢٩/٥ .

(٤) شواذ القرآن ص ٣٦ .

وقد أطلق العرب على المرأة لباسًا من باب المجاز كقول الذبياني[1] :

إذا مـــا الضـــجيع ثـــنى عطفـــه تثنـــت عليـــه فكانـــت لباسًـــا

٤- منها :

في قوله تعالى : ﴿ **كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا** ﴾ (البقرة:٢٥).

قرأها الجمهور : « **منها** » بـألف خالصة . وقرئت في الشواذ : « **مِنْهـا** » بإمالة الألف . ونسبها الكرماني لابن مقسم وابن أبي هاشم عن ورش . وكذلك في جميع القرآن[2]. وسبب الإمالة هنا كسببه في « إنا لله » التناسب بين ألف « هـا » وكسرة ميم « من » الثانية .

* * *

(١) روح المعاني ٢/٦٥ ، مجمع البيان ١/٢٧٩ .

(٢) شواذ القرآن ص ٢١ .

المبحث الثالث

الاختلاف بتقديم الصوت وتأخيره

كلمة «**الصواعق**» في قوله تعالى : ﴿**يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ**﴾ (البقرة:١٩).

هي وحدها ـ في نطاق الرسالة ـ الكلمة التي تحقق فيها هذا النوع من الاختلاف بين المتواتر والشاذ من القراءات .

فقد قرأها الجمهور : «**الصواعق**» بتقديم صوت العين على صوت القاف وهكذا رسمت المصاحف . وقرئت في الشواذ : «**الصواقع**» بتأخير صوت العين عن صوت القاف . ونسبت هذه القراءة للحسن البصري[١] وهي لهجة بني تميم[٢] وبعض بني ربيعة[٣] وبها جاء قول أبي النجم[٤] :

يحكون بالمصقولة القواطع تشقق البرق عن الصواقع

وقول آخر[٥] :

ألم تَرَ أن المجرمين أصابهم صواقع ، لا بل هنَّ فوق الصواقع

والصواعق جمع مفرده «صاعقة» وهي : نار تسقط من الأفق مع رعد شديد ، أو الصوت الشديد من الرعدة تسقط معه قطعة نار[٦] وروى الخليل عن قوم من العرب : «الساعقة بإبدال الصاد سينًا»[٧].

---

(١) مختصر في شواذ القرآن ص ٣ ، والكشاف ١/٨٥ ، وشواذ القرآن ص ٢٠ .

(٢) البحر المحيط ١/٨٤ ، وروح المعاني ١/١٧٤ .

(٣) تفسير القرطبي ١/٢١٩ .

(٤) لسان الرب (صقع) ، تفسير القرطبي ١/٢١٩ ، تاج العروس (صعق) ورواية البيت فيه : « يحكون بالهندية ... إلخ» .

(٥) البحر المحيط ١/٨٦ ، اللسان (صقع) .

(٦) اللسان (صعق) ، روح المعاني ١/١٧٤ .

(٧) البحر المحيط ١/٨٦ .

وذهب بعض اللغويين إلى أن في «الصواقع» قلبًا مكانيًا ، وأن الأصل «الصواعق» ومن هؤلاء ابن خالويه[1] والصحيح ما ذهب إليه الزمخشري وأبو حيان ، والألوسي[2] من أنه لا قلب في أحد هذين البناءين بل هما سواء في التصرف . والقلب المكاني إنما يكون في واحد من بناءين أحدهما زائد عن الآخر بوجه ما ، الأمر الذي لا ينطبق على «الصواعق» و«الصواقع» فقد ذكر أصلاهما في المعاجم مادتين مستقلتين[3] .

ومثلهما في ذلك الفعلان «جذب» و«جبذ» فهما أصلان ، لكل منهما مصدره ومشتقاته ، وليس أحدهما مقلوب الآخر .

يقال في الأول : «جذب» ، «يجذب» ، جذبًا ، جاذب ، مجذوب . ويقال في الآخر : جبذ ، يجبذ ، جبذا ، جابذ ، مجبوذ [4] فإن كان أحد الأصلين ناقصًا عن الآخر في التصرف ، كان أكثرهما تصرفًا أصلاً للآخر . فمن ذلك المثالان التاليان :

الأول : «اضمحل» و«امضحل» فالأول أصل والثاني مقلوبه ، لأن للأول مصدرًا هو «الاضمحلال» ولا مصدر للآخر[5] .

والثاني : «رأى» و«راءَ» فالأول أصل ، لأن منه : يرى ، رؤية ، راءٍ ، مرئيٌّ . ولا كذلك الآخر . ومن الشواهد التي جاء فيها راء قول كثير عزة[6]:

وكل خليل راءني فهو قائلٌ من اجلكَ ، هذا هامةُ اليوم أو غد

والآية التي منها ﴿ **يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ** ﴾ إلخ ، واحدة من اثنتي عشرة آية متصلة في سورة البقرة . ذكر الله فيها المنافقين ، واصفًا أحوالهم من إسلام ظاهري ، وكفر

---

(١) مختصر في شواذ القرآن ص ٣ .

(٢) الكشاف ٨٥/١ ، البحر المحيط ٨٦/١ ، روح المعاني ١٧٤/١ .

(٣) الصحاح ، لسان العرب ، تاج العروس (صعق ، صقع) .

(٤) الخصائص ٦٩/٢ ، الكتاب ٣٨١/٤ (تحقيق عبد السلام هارون) .

(٥) الخصائص ٧٣/١ .

(٦) الكتاب ٤٦٧/٣ .

باطني ، وزعمهم أنهم مصلحون ، وإزرائهم بالمؤمنين ، ووصفهم لهم بالسفهاء ، والتظاهر بالإيمان حين يلقون المؤمنين ، وإعلان الكفر حين يلقون الكافرين .

وفي قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ . . . يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ ﴾ إلخ ، تشبيه للمنافقين بقوم مطروا مع رعد وبرق ، في ليلة حالكة الظلام ، واضعين أطراف أصابعهم في آذانهم إتقاء لسماع صوت الرعد .

وفي العبارة تشبيه تمثيلي مركب . فقد شبه الإسلام بالمطر ، لأن القلوب تحيا به كما تحيا الأرض بالمطر . وشبهت الشبهات التي أحاطت بالمنافقين وحجبت عن قلوبهم نور الإيمان بالظلمات . وشبه ما في الإسلام من وعد ووعيد بالبرق والرعد ، وشبه ما يصيب المنافقين من فتن وخوف بالصواعق[1] .

وقد حذفت في هذا التشبيه المركب المشبهات ، وذكرت فيه المشبهات بها من صيب وظلمات ورعد إلخ .

* * *

(١) تفسير الطبري ١/١١٥ (ط / أولى) .
مجمع البيان ١/٥٧ .
الكشاف ١/٢١٧ (ط / دار المعرفة) .